

الحلقة الأربعون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بالأمثال التي تحدثت عن أهمية الابتعاد عن الخصام في البيت. وأن يعامل الإنسان الآخرين بمحبة، وأن لا يجازي الخير بالشر، بل أن يجازي الشر بالخير. وأن على المرء أن يعالج أية مشكلة بسيطة تحدث قبل أن تستفحل وتؤدي إلى الخصام.

مستمعي الكريم، ما هو موقف الله تجاه الشخص الذي يبرئ المذنب ويذنب البريء؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "مُبرِّئُ المذنبِ ومُذنبُ البريء كلاهما مكرهةُ الرب". و"أيضاً تغريمُ البريء ليس بحسنٍ وكذلك ضربُ الشرفاء لأجل الاستقامة". (أمثال ١٧: ١٥)، (٢٦) بالطبع أنت تعلم مستمعي أن الله عادل، وعدالة الله تتطلب منا أن نكون عادلين ومنصفين قدر الإمكان. فإذا حكمنا ببراءة المذنب وأصقنا التهمة بالبريء، نكون بذلك قد سلطنا طريق الظلم وفعلنا عكس العدل بالتمام. ولهذا قال المثل أن هذا العمل هو مكرهة للرب. وأيضاً عندما يقوم القاضي أو أي شخص بفرض الغرامة على البريء فهو إنما يسيء إلى العدالة. وكذلك إن إهانة الناس الشرفاء المستقيمين هو تعدٍ على كرامتهم وتحدي واضح ضد حقوق الإنسان البديهيّة.

وكتب سليمان الحكيم في هذا المجال أيضاً قائلاً: "الشريير يأخذ رشوة من الحُصن ليعوّج القضاء". (أمثال ١٧: ٢٣) فالشريير هو الذي يأخذ الرشوة لهدف تعويج القضاء، وعدم إحقاق العدل. أي أنه ينظر لمصالحه الأنانية على حساب العدل والحق. إن التاريخ البشري مع الأسف مليء بالظلم، وكذلك سيرة الأفراد. فما هو موقفك مستمعي الكريم؟ هل تحاول أن تكون عادلاً ومنصفاً تجاه الآخرين؟ أم تراك تحكم بحسب المصالح والأهواء؟ وهل تعلم أن الله العادل ينظر إلى موقفك ويحاسبك على أساسه؟

وكتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "الانتهاز يؤثر في الحكيم أكثر من مئة جلدة في الجاهل". (أمثال ١٧: ١٠) إن توبيخ الشخص الحكيم بدون أي سبب هو إهانة كبرى لنفسه وإذلال له. ولهذا قال المثل أن التوبيخ يؤثر في الحكيم أكثر من مئة جلدة في الجاهل.

وحول موضوع الكلام والفرق بين الحكيم والجاهل كتب سليمان الحكيم هذين المثلين قائلاً: "ذو المعرفة يُبقي كلامه وذو الفهم وقور الروح. بل الأحمق إذا سكت يُحسب حكيماً ومن ضمّ شفّتيه فهيماً". (أمثال ١٧: ٢٧ و ٢٨) أي أن صاحب المعرفة لا يتحدث بكلامه إلا عند الضرورة، وكذلك ذو الفهم يكون إنساناً وقوراً مسيطراً على نفسه. وفي المقابل إن الأحمق أو الجاهل إذا سكت أو ضمّ شفّتيه، يحسبه البعض حكيماً وفهيماً، بينما هو يكون كمن لا يريد أن يفضح جهله أو يكشف عنه.

لكن الحقيقة هي كما في هذين المثلين: "شفّتا الجاهل تُداخِلان في الخصومةِ وفمهُ يدعو بضرباتٍ. فم الجاهل مهلكةٌ لهُ وشفّتاهُ شَرَكٌ لنفسه". (أمثال ١٨: ٦ و ٧) إن شفّتي الجاهل تسعيان دائماً كما ذكرنا في لقاء سابق لزرع الخصومات بين الأصدقاء، وفمه يدعو لتوجيه الضربات. وفي نفس الوقت إن فم الجاهل أو كلماته ستؤذي به إلى الخراب والهلاك، لأنه بنفسه يكشف عن حقيقة جهله. وكذلك فإن شفّتيه تكون شركاً لنفسه، أي مصيدة له، إذ تفضح حقيقة نواياه وجهله. أمل صديقي أن تكون حكيماً من ذوي المعرفة والفهم.

وعاد سليمان الحكيم للحديث عن القلب في هذا المثل: "الملتوي القلب لا يجدُ خيراً والملتقّبُ اللسانِ يقعُ في السوء". (أمثال ١٧: ٢٠) إن الملتوي القلب هو الشخص الذي يسلك في طرق ملتوية شريرة، ولا يكون صادقاً حتى مع نفسه، لهذا فهو لن يجد الخير، بل سيحصد الشر. أما الشخص الذي يبذل كلامه بحسب الظروف، أي يمدح تارة فلاناً من الناس ثم يعود ليذمّه تارة أخرى، فلا بد أن يأتي يوم ينكشف فيه أمام الآخرين. وكما قال المثل: يمكنك خداع بعض الناس لبعض الوقت. لكن لا يمكنك خداع كل الناس كل الوقت.

وتحدّث سليمان الحكيم أيضاً عن القلب الفرحان فكتب قائلاً: "القلب الفرحان يطيبُ الجسم والروح المنسحقة تجفّف العظم". (أمثال ١٧: ٢٢) هل تعلم مستمعي أن الفرح عندما يغمر القلب يشفي الجسم من أسقامه وأمراضه الكثيرة؟ وهذا ما تؤكده كل الدراسات الطبية الحديثة. وفي المقابل إن الروح المنسحقة الحزينة تجفّف العظم، أي تجعل الأمراض تنتسرب إلى الجسم. وكما هو معروف فإن معظم أمراض المعدة والقلب أساسها ضغوطات الحياة التي تؤثر على نفسية الإنسان من الداخل، فتجعلها منسحقة وحزينة. فكيف بإمكانك مستمعي أن تتمتع بالفرح الحقيقي الدائم؟ وهل من الممكن أن تتغلّب على ضغوطات الحياة المتنوعة وتجنّب نفسك بالتالي من أمراض الجسد المتنوعة؟ إن فرح القلب من الداخل هو أمر مهم للغاية، فكيف بنا نحصل عليه يا ترى؟

هل تعلم مستمعي أن الكتاب المقدس تحدث كثيراً عن الفرح وكيفية الحصول عليه؟ لا بل اعتبر أنه من الضروري على الإنسان المسيحي المؤمن أن يكون فرحاً وبشكل مستمر؟ لكن قد تسأل: كيف يمكن أن يكون الإنسان فرحاً في وسط عالم مليء بالمآسي والآلام؟ إنه بالحق سؤال مهم للغاية. وللجواب نقول: لا يمكن للإنسان أن يكون فرحاً حقاً بدون علاقة حيّة تربطه مع الله خالقه. وهذه العلاقة لن تتم إلا من خلال المخلص المسيح الذي أرسله الله، لكي يعيد الشركة بينه تعالى وبيننا نحن البشر الخاطئة.

إن الإيمان بالمخلص المسيح هو الذي يعيد العلاقة الروحية بيننا وبين الله تعالى. وعندئذ يسكب الله في قلوبنا فرحه الكامل، ونتمتع بالسلام القلبي الأكيد. ولن نستطيع تجارب الحياة الصعبة وآلامها أن تنزع هذا الفرح القلبي والسلام الأكيد. هذا هو السر مستمعي في كيفية حصولك على الفرح الدائم المستمر. فهل تراك تأتي بالإيمان إلى هذا المخلص الفريد العجيب؟ وهل تثق بأن الله قادر فعلاً أن يجعل الفرح يملأ قلبك ويغمر حياتك؟